

نظرية الكُمُون عند النَّظَّام (ت: ٢٣١هـ)
وموقف الإسلام منها

إعداد الدكتور

حمدي مصطفى عبد اللاه رسلان

مدرس العقيدة والفلسفة في كلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنين بقنا

جامعة الأزهر


بسم الله الرحمن الرحيم

نـظـرية الكُمُون عند النَّـظَّـام (ت: ٢٣١هـ) ومـوقــف الإسلام مـنـها

حـمـدي مصطفى عبد اللاه رسلان

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر مصر.

البريد الإلكتروني: drhamdymostafa@yahoo.com

ملخص البحث:

تناولت هذه الدارسـة الحديث عن مسـألة مهمة على المسـتوى الكلامي والفلسـفي ألا وهي (نظرية الكمون) التي تقول بأن العالم خُلق دفعة واحدة وأن ما يُشـاهد من تقديم وتأخير في الخلق هو مجرد ظهور بعد كمون وليس خلقًا من العدم، والقول بالكمون كإحدى النظريات التي تفسـر نشـأة العالم يمتد جذورها إلى الفلسفة اليونانية.

ولعل ما حمل النظام على القول بنظرية الكمون هو ما كان شـائعًا في عصـره من تيارات إلحادية مختلفة تفسـر نشـأة العالم تفسـيرًا لا يتوافق مع عقل أو نقل، فذهب النظام إلى القول بالكُمون لإظهار قدرة الله ﷻ في جعل الأشياء تبدو على خلاف عادتها، وهو بلا ريب أبلغ في الاستدلال على قدرته -تعالى-.

وهذا ما جعل نظرية الكمون عند النَّظَّام تعبّر عن مدى استقلاله في طرحه لهذه القضية، وكيفية معالجته لهذه لنظرية من خلال اعتماده على فلسـفته الطبيعية وثقافته الدينية، ومحاولته التوفيق بين القول بالكمون والنصوص الدينية.

إلا أن قول النظام بالكمون لا يتوافق وموقف الإسلام من مسألة الخلق، فقد دل الشرع على أن عناصر العالم لم تخلق دُفعة واحدة، فهناك من الموجودات ما هو متقدم على الآخر في الخلق، هذا بالإضـافة إلى أن القول بنظرية بالكمون يلزم منه محالات عقلية كالقول بتداخل الأجسام وغيره.

النتائج: الدافع الأهم من الشـروع في كتابة هذا البحث هو عرض مفهوم الكمون عند النَّظَّـام باعتباره أحد مفكري الإسلام، وكيف هو موقف الإسلام من طرح النَّظَّـام للكمون؟ مع بيان موقف العقل أيضًا من الكُمُون النَّظَّـامي.

الكلمات المفتاحية: (نـظـرية الكـُمُون ـ النَّظَّـام ــ موقف الإسلام).

The Theory of Latency for Al- Nazzam (died in 231 A.H.) and the Stance of Islam

By: Hamdy Mostafa Abdellah Raslan
Department Creed and Philosophy
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Qena
Azhar University

Abstract

The present research demonstrates an important issue on a philosophical and doctrinal level, which is the theory of latency. This theory claims that the world was created only once and what appears afterwards, as a submission or delay in creation, is just a reappearance after latency but not a creation out of nowhere. After handling the concept of latency, the research discusses the emergence of latency and its origins. By highlighting Al- Nazzam's attitude towards latency, referring to his intellectual autonomy while displaying this issue, how he tackled the theory of latency relying on his natural philosophy and his religious culture, the research has also examined the stance of Islam towards the theory of latency. The research has applied the inductive, analytical, descriptive and critical approaches throughout tracing the early appearance of latency and its phases highlighting the approach of those who claimed latency as a theory. Next, the research has examined latency critically and displayed the stance of Al- Nazzam towards such theory. After that, the research critically and analytically traced Al- Nazzam's endeavor to compromise between claiming latency and the religious texts. By the end of the research, the researcher has summed up the findings. For the researcher, displaying the concept of latency for Al- Nazzam was more important than writing this research since Al- Nazzam represents one of the intellectuals of Islam. The research has also managed to clarify the stance of Islam towards exposing latency by Al- Nazzam as well as showing the intellectual attitude towards Al- Nazzam's latency. The research concludes with the recommendations. For example, the research recommends tracing Al- Nazzam's intellectual efforts related to natural philosophy and theology to evaluate those efforts according to the intellectual disciplines and legitimate texts.

Key words: the theory of latency, Al- Nazzam, the stance of Islam.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، حمد الشاكرين لأنعمه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وزد وبارك على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد . . .

فإن نظرية الكمون من النظريات التي ترجع إلى الفلسفة الطبيعية والتي يرى أنصارها أن العالم خُلق جُملة واحدة، وليس هناك تقديم وتأخير في الخلق، وأن ما نشاهده في العالم من تقديم وتأخير للموجودات سببه ظهور الأشياء من مكامنها، ومن هذا المنطلق كانت نظرية الكمون ذات أهمية كبرى، وذلك لارتباطها بمسألة الخلق، والتي هي بدورها من أهم المسائل العقدية التي تناولها العلماء بالبحث والدارسة وأولوها اهتمامًا كبيرًا، وذلك بسبب صلتها بقضية الألوهية.

هذه النظرية التي تمتد جذورها إلى فلاسفة اليونان، وبالتحديد الفيلسوف (أنكاجوراس) ثم أرسطو ثم الرواقيون، وصولاً إلى البيئة الإسلامية مع اختلاف في الطرح والتأثر فقد كان تناول هذه النظرية من جانب فلاسفة اليونان مختلفًا بعضُه عن بعض، فعند (أنكاجوراس) الأشياء موجودة في الجسم الأول ثم تأخذ بعد ذلك في الظهور، أما أرسطو فقد عبر عن الكمون بمفهوم القوة والفعل، أما الرواقيون فيرون الكمون هو عبارة عن بذرة مركزية تحوي سائر العلل البذرية لجميع الكائنات الحية.

ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن نظرية الكمون في البيئة الإسلامية فيُعدُّ جابر بن حيان هو أول من تحدث عن الكمون في الفكر الإسلامي، ولكن حديثه كان لا يستوعب المسألة، كما أنه

تناول الكمون في ضوء مفهوم القوة والفعل كما هو الشأن عند أرسطو.

ثم بعد ابن حيان أخذ الحديث عن الكمون في الفكر الإسلامي شكلاً آخر وذلك عند إبراهيم النظَّام، فالكمون عنده يمثلُ حيزًا كبيرًا من فلسفته الطبيعية فقد تناول النظَّام نظرية الكمون وفقًا لرؤيته الخاصة وفكره المستقل، وانطلاقًا من بيئته الإسلامية، مما يدل على الأصالة الفكرية التي تميز بها النظَّام، وهذا ما دفعنا للتأكيد عليه في أثناء الدراسة، وذلك لطرحه المميز لنظرية الكمون، وكون النظَّام ممثلاً للفكر الإسلامي في هذا الجانب، كما أن الحُكْمَ إسلاميًّا على نظرية الكمون عند النظَّام يأتي مناسبًا لكونه من مفكري المسلمين، ولذلك كان البحث بعنوان: **(نظرِية الكمون عند النَّظَّام (ت: ٢٣١هـ) وموقف الإسلام منها)** وقد جاء البحث متضمنًا مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

وأما المبحث الأول: ففي تعريف نظرية الكمون ونشأتها في الفكر الإسلامي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف نظرية الكمون لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: نشأة نظرية الكمون في الفكر الإسلامي.

وأما المبحث الثاني: ففي بيان حقيقة نظرية الكمون عند النظام وموقف الإسلام منها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان حقيقة نظرية الكمون وأهميتها.

المطلب الثاني: الموقف الإسلامي من نظرية الكمون.

الخاتمة: وقد اشتملت على ما يأتي:

أولاً: نتائج البحث: وقد ذكرت فيها أهم النتائج التي خلصَ إليها البحث.

ثانيًا: مراجع البحث: وقد ذكرت فيها المصادر والمراجع التي قام عليها البحث.

والله أسأل القبول والإخلاص في القول والعمل،

وصل اللهم وسلم على سيدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الأول

تعريف نظرية الكمون ونشأتها في الفكر الإسلامي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف نظرية الكمون لغةً واصطلاحًا

المطلب الثاني: نشأة نظرية الكمون في الفكر الإسلامي

المطلب الأول: تعريف نظرية الكمون لغةً واصطلاحًا.

الكمون في اللغة: يعنى الخفاء والتواري، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي:" كَمَنَ فلان يَكْمُنُ كُمُونًا، أي: اختفى في مكمن لا يفطن له"(١).

ويقول أبو نصر إسماعيل الجوهري كَمَنَ يَكْمُنُ كُمونًا: اختفى، ومنه الكَمينُ في الحرب، وناقةٌ كَمونٌ، أي كتومٌ للِّقاح، وهي التي إذا لقحتْ لم تشُلْ بذنبها، وحزنٌ مُكْتَمِنٌ في القلب: مُخْتَفٍ"(٢).

من ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ قال: إِنِّي لَأَسْعَى فِي الْغِلْمَانِ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ، فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، قَالَ: حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ فَكَمَنَّا فِي بَعْضِ حِرَارِ الْمَدِينَةِ"(٣) أي استترا واستخفيا.

يتضح مما سبق أن مصطلح الكمون في اللغة: يعنى الخفاء والاستتار الذي يكون في شَيْء ما، ولا يُراد من خفائه عدم وجوده، بل هو موجود ولكنه مستتر ومبطن، فالكمون صفة لازمة

---

(١) كتاب العين/ للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (٥/ ٣٨٦) مادة (ك م ن) تحقيق: د مهدي المخزومي د إبراهيم السامرائي - الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٦/ ٢١٨٨) مادة: (ك م ن) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين، بيروت - ط/ ٤، ١٩٨٧م.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده - حديث أنس بن مالك ﷺ (٢١/ ٤٠ ح ١٣٣١٨).

للأمر والشـيء الكامن، وفي مقابل لفظ (الكمون) يأتي لفظ (الظهور) أو البروز، لأن الكمون من معانيه الخفاء والاستتار.

أما عن معنى الكمون في الاصطلاح: فنجده لا يختلف كثيرًا عن معناه في اللغة فهو عبارة عن استتار الشيء وخفائه في غيره، فإحراق الشجر هو خروج ناره منه، فالنار كامنة في الشجر والزيت كامن في الزيتون.

يقول محمد بن أحمد الخوارزميّ:" الكمون هو اسـتتار الشـيء عن الحس، كالزبد الذي في اللبن قبل ظهوره، وكالدهن في السمسم"(١).

ويعرف الإمامُ الباقلاني الكمون فيقول:" الظهور خروج إلى مكان والكمون انتقال عنه وكون في غيره من الأماكن واستتار ببعض الأجسام"(٢).

وجاء تعريف الكمون في الموسوعة الفلسفية العربية بأنه :"صفة للشيء الكامن والكمون أي: البطون ... ومذهب الكمون يقوم على الاعتقاد بأن كل شيء في كل شيء أي: إنه كل شيء فيه جزء من كل شيء"(٣).

ويصرح عمرو بن بحر الجاحظ تلميذ النظّام(٤) مبينًا موقف شيخه من مسألة الكمون

(١) مفاتيح العلوم/ محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب البلخي الخوارزمي (١/ ١٦١) تحقيق: إبراهيم الأبياري ـ الناشر: دار الكتاب العربي ـ الطبعة: الثانية.

(٢) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل/ للإمام محمد بن الطيب الباقلاني ص٧٩ ، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ـــ مؤسسة الكتب الثقافية ــ لبنان ـ ط/ ١، ١٩٨٧م.

(٣) الموسوعة الفلسفية العربية/ رئيس التحرير: معن زيادة (١/ ٦٩٩). معهد الإنماء العربي ط/ ١، ١٩٨٦م.

(٤) إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري أبو إسحاق النظّام، ولد في البصرة ما بين سنة (١٦٠هـ–١٨٠هـ) وتتلمذ على أبي الهذيل العلّاف وغيره، حتي صار من أعظم شيوخ المعتزلة بلا منازع، من أشهر آرائه القول بالكمون والطفرة والصرفة، تبحر النظام في شتى العلوم الفلسفية والكلامية وانفرد بآراء خاصة به تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النَّظَّامية) نسبة =

فيقول:"وكان أبو إسحاق يزعم أن احتراق الثوب والحطب والقطن إنما هو خروج نيرانه منه، وهذا هو تأويل الاحتراق، وليس أن نارًا جاءت من مكان فعملت في الحطب، ولكن النار الكامنة في الحطب لم تكن تقوى على نفي ضدّها، عنها فلما اتصلت بنار أخرى، واستمدّت منها قويتا جميعًا على نفي ذلك المانع، فلما زال المانع ظهرت ... فإحراقك للشيء إنما هو إخراجك نيرانه منه"(١).

وهذا ما أكده الإمام الشــهرســتاني وهو بـ صدد حديثه عن الكمون عند النظّام فيقول:" من مذهبه أن الله –تعالى– خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن: معادنَ ونباتًا، وحيوانًا، وإنســانًا، ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده، غير أن الله –تعالى– أكمن بعضــها في بعض، فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها"(٢).

وبذلك يظهر لنا مدى العلاقة بين تعريف الكمون من الناحية اللغوية والاصطلاحية، حيث إنهما اتفقا في أن كليهما يقومان في تعريفهما على معنى الخفاء والاســتتار، فتعريف الكمون من حيث اللغة هو الاســتخفاء والإضــمار، وكذلك من ناحية الاصــطلاح، فالكمون يعني أن الموجودات بعضها كامن في بعض.

إليه، وذكر له العلماء بعضًا من المؤلفات منها: (كتاب الجزء ـ الرد على الثنوية ــ العالم ــ التوحيد ــ النكت) كانت وفاة النظام سنة ٢٣١ه. [يراجع: الوافي بالوفيات/ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٦/ ١٢) تحقيق: أحمد الأرناؤوط الناشــر: دار إحياء التراث – بيروت، ٢٠٠م .الأعلام/ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي (١/ ٣) دار العلم للملايين ، ط/ ١٥، ٢٠٠٢م. النظام وآراؤه الكلامية/ د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ص٧٣ ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٤٦م]..

(١) الحيوان/ لعمرو بن بحر بن محبوب ليثي الجاحظ (٥/ ١٠) دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط/ ٢، ١٤٢٤هـ .

(٢) الملل والنحل/ للإمام محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشـهرسـتاني (١/ ٥٦) مؤسـسـة الحلبي. [يراجع: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية/ للإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي (١/ ١٣٩) الناشــر: دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط/ ٢، ١٩٧٧م].

وبناءً على ما تقدم فنظرية الكمون تعني أن الموجودات خُلقت كلها دُفعة واحدة إلا أن بعضها كامن في بعض، فالتقديم والتأخير المشاهدان في الواقع لا يلزم منه خلق جديد، لأن الفرع كامن في أصله، كما أن الظهور لا يعنى خلقًا من العدم بل هو مجرد ظهور ووجود بعد خفاء.

المطلب الثاني: نشأة نظرية الكمون في الفكر الإسلامي.

من المعلوم لدي الباحثين أن أول من قال بنظرية الكمون ووضع قواعدها هم فلاسفة اليونان الطبعيون وبالتحديد الفيلسوف اليوناني (أنكساجوراس)[1] الذي أسس فلسفته الطبيعية على نظرية الكمون، ثم أتى من بعده أرسطو ثم الرواقيون.

يقول الإمام الشهرستاني مبينًا رأي الفيلسوف (أنكساجوراس) في مسألة خلق العالم: "وهو أول من قال بالكمون والظهور، حيث قدر الأشياء كلها كامنة في الجسم الأول، وإنما الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعًا وصنفًا ومقدارًا وشكلاً وتكاثفًا وتخلخلاً، كما تظهر السنبلة من الحبة الواحدة، والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة، والإنسان الكامل الصورة من النطفة المهينة، والطير من البيض، فكل ذلك ظهور عن كمون، وفعل عن قوة، وصورة عن استعداد مادة، وإنما الإبداع واحد، ولم يكن بشيء آخر سوى ذلك الجسم الأول"[2].

ثم بعد مرحلة (أنكساجوراس) يأتي الفيلسوف (أرسطو) الذي تناول معنى الكمون ولكن عبر عنه بالقوة والفعل، يقول الدكتور/ عاطف العراقي: "وقد يكون يتشابه القول بالكمون بقول أرسطو فيما يتعلق بالقوة والفعل، أو المادة والا صورة؛ ذلك لأن ما يظهر يكون انتقالًا من القوة

---

(١) أنكساجوراس: فيلسوف يوناني ولد عام (٥٠٠ ق م) من آرائه: أن البذور هي تحمل الأصول المادية للأشياء المتنوعة، سواءً الأشياء الجامدة أو الكائنات الحية، كانت وفاته عام (٤٢٨ق. م).[يراجع: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي/ د. مصطفى النشار (١/ ٢٥٣) دار قباء للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٩٨م].

(٢) الملل والنحل/ للشهرستاني (٢/ ١٢٣).

إلى الفعل أو من المادة إلى الصورة"(١).

كما أن الرواقيين تناولوا معنى الكمون وجعلوا منه قاعدة أساسية لفلسفتهم الطبيعية، فقد ذهبوا إلى أن الموجودات جميعها وجدت جُملة واحدة في بذرة واحدة، ثم بدأت تظهر بشكل ضروري إلي إلى العالم، "فملخص رأي الرواقيين في كون العالم وما فيه هو أن النار توجد وحدها في أول الأمر في الفراغ الذي لا نهاية له، ثم تتكاثف هواء ويتكاثف الهواء ماءً، وتتولد من الماء بذرة مركزية هي العلة البذرية أو قانون العالم، وهذه البذرة تحوى العلل البذرية لجميع الكائنات الحية، بحيث يكون كل فرد هو المزيج الكلي لكل ما سينشأ عنه، وبعد مدة يصبح هذا الحي بدوره قادرًا على إنتاج بذرة كائن جديد يشبهه"(٢).

وعندما ننتقل إلى البيئة الإسلامية نجد أن نظرية الكمون قد حظيت باهتمام كبير من جانب العلماء المسلمين، ولا غرابة في ذلك فالإسلام نفسه قد حثّ على إعمال العقل والتدبر في عناصر الكون، والقرآن الكريم من هذا المنطلق أعطى العقل قدرًا كبيرًا من الأهمية والعناية لأنه هو مَلَكَة التفكر والتدبر، ومناط التكليف قائم على وجود العقل، فهو الشرط الذي لابد من توفره في الإنسان حتى يكون مكلفًا.

لذا نرى أن القرآن الكريم قد ساق عشرات الآيات التي تدعو إلى إعمال العقل والفكر، فذكر الله ﷻ في كتابه العزيز صفات أولي الألباب الذين لم يعطلوا عقولهم بل تفكروا من خلالها فيما خلقه الله –تعالى– وأوجده، قال جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

(١) الموسوعة الفلسفية العربية (١/ ٦٩٩).

(٢) النظام وآراؤه الكلامية/ د. أبو ريدة ص١٥٦.

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[1].

فالعقل هو من أجلّ النعم التي منّ الله ﷻ بها على الإنسان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2] وبناءً على هذا التكريم الإلهي كان الأمر بالنظر العقلي الصحيح في آيات الكون الظاهرة المؤدّي إلى معرفة الله ﷻ والإيمان به قال تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[3].

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4] وانطلاقًا من هذا التوجيه الإلهي ظهرت براعة علماء المسلمين وتميزهم الفكري في شتى مناحي العلوم لأن صحة التفكير هي الركيزة الحقيقية لأي أمة من الأمم، وعليه فقد نشأت عدة مدارس فكرية اعتنى رجالها بالعقل عناية عظيمة تجلت ذلك في آرائهم وأفكارهم.

من هؤلاء العلماء جابر بن حيان الذي أشار إلى نظرية الكمون قائلاً:" فإن الطلع في الرطب، والرطب في الطلع بالقوة، ولكن بالطبخ وطول الزمان وأمثال ذلك، وكذلك القائم القاعد بالقوة ولكن بعد تقضي زمان القعود وانتهائه بحركة القاعد للقيام وحركة الإرادة، وإذا بان ذلك فإن الأشياء كلها وجودًا للأشياء كلها ولكن على وجوه من الاستخراج، فإن النار في الحجر كامنة ولا تظهر، وهي له بالقوة فإذا زند أُورى فظهرت وكذلك الشمع في النحل، ولو

---

(١) الآيتان (١٩٠، ١٩١) سورة آل عمران.

(٢) الآية ٧٠ سورة الإسراء.

(٣) الآية ١٠١ سورة يونس.

(٤) الآية ٢٠ سورة العنكبوت.

أخذنا مائة ألف نحلة أو ألف كو نحل ثم عصرناها وطبخناها ودبرناها تدبيرانا للعسل الذي فيه الشـمع لم يخرج منه دانق شـمع، ولكن النحل إذا تغذي غذاءً معتدلاً وعملت له الكوى التي يأوي فيها وعمل العسل واجتنى ذلك العسل خرج منه الشمع"[١].

ويبدو من حديث جابر بن حيان عن الكمون أنه يفسره بالقوة والفعل ربما تأثرًا بأرسطو، ولذلك عنون جابر بن حيان حديثه عن الكمون بقوله: "كتاب إخراج ما في القوة إلى الفعل"[٢] كما أن ابن حيان لم يتوسع في بيان نظرية الكمون بل أشار إلى ذلك إشارة مختصرة لا تفي بالموضوع، بل لا تتعدى طور التعريف.

وهذا ما دفعنا للحديث عن نظرية الكمون عند النظَّام لكونه هو أشهر وأوسع من تحدث عنها من مفكري الإسلام[٣]، بل إن حديثه عن الكمون كان بمثابة بيان لمكانة العقل الإسلامي في ميدان العلم الإنساني، فهو من الرجال الأفذاذ الذين كان لهم دورهم العلمي في الفكر الإسلامي عامة وفي المدرسة الاعتزالية خاصة.

فالنظَّام موضع ثناءٍ وتوقير عند كثير من المعتزلة وغيرهم وذلك لما كان له من مكانة علمية مرموقة على المستوى الكلامي والفلسفي، يقول أبو عمرو الجاحظ عن شيخه النظَّام:"ولولا أصحاب إبراهيم وإبراهيم لهلكت العوامّ من المعتزلة، فإني أقول: إنه قد أنهج

---

(١) مختار رسائل جابر بن حيان/ جابر بن حيان ص٦ ـــ عُنى بتصحيحها ونشرها: پ. كرواس. ـــ مكتبة الخانجي ومطبعتها ــ ١٣٥٤هـ.

(٢) مختار رسائل جابر بن حيان ص١.

(٣) تحدث عن مسألة الكمون بعض شيوخ المعتزلة منهم: (بشر بن المعتمر ـــ محمد بن هذيل العلاف ـــ هشام بن الحكم) إلا أن حديثهم كان مجرد إشارات، وليس فيه بيان أو تحليل كما هو الشأن عند النظَّام. [يراجع: =مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين/ للإمام لأبى الحسن علي بن إسماعيل الأشعري صـ٢٥١ تحقيق: نعيم زرزور ـــ المكتبة العصرية ـ ط/ ١، ٢٠٠٥م].

لهم سبلاً، وفتق لهم أمورًا، واختصر لهم أبوابًا ظهرت فيها المنفعة وشملتهم بها النعمة"[١].

بل بلغ من براعته أن كان يناظر شـيخه أبا هذيل العلاف، وربما كان يفحمه في كثير من مناظراته، حتى إن العلاف كان يتذرع بالمرض أحيانًا مخافة من ملاقاة النظَّام، يقول أبو عمرو الجاحظ:"وقيل لأبي الهذيل: إنّك إذا راوغت واعتللت -وأنت تكلّم النظَّام وقمت- فأحسن حالاتك أن يشكّ النّاس فيك وفيه! قال: خمسون شكًّا خير من يقين واحد!!"[٢].

هذا ثناء بعض المعتزلة على إبراهيم النظَّام وهو إن كان فيه بعض مبالغة إلا أن النظَّام -بلا ريب- كان مفكرًا عميق الفكر دقيق الفهم واسـع الاطلاع، كما أن للنظَّام مكانة علمية عند غير المعتزلة، فمثلاً ابن حزم الأندلسـي يقول عنه :"وكان إبراهيم بن سـيار النظَّام .. أكبر شـيوخ المعتزلة، ومقدمة علمائهم"[٣] ويـ صرح الخطيب البغدادي بمنزلته فيقول:" وكان أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة"[٤].

كل هذه الـ صفات جعلت النظَّام من أعظم مفكري زمانه، فهو يجمع بين علم الكلام والفلسفة، بل إن الجانب الفلسفي لا يقل أهمية عن الجانب الكلامي في شخصيته، فقد تحدث في أمور فلسـفية كطبائع الموجودات وحقائقها، وأحكام الجواهر والأعراض، وإن كان الدافع دينيا إلا أن النظَّام بلا شـك كان عقله مُولعًا بالفلسـفة والغوص في أغوارها بحثًا عن حقائق الأشياء وأسبابها.

---

(١) الحيوان (٤/ ٣٦٠).

(٢) الحيوان (٣/ ٢٧).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٤/ ١٤٧) الناشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

(٤) تاريخ بغداد/ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٦/ ٦٢٣) تحقيق: بشار عواد معروف ـ الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ـ ط/ ١، ٢٠٠٢م.

ولكن ومع كل هذه الخصائص التي اتسمت بها شخصية النظَّام إلا أننا نجد بعض المستشرقين ينفي أن يكون للنظَّام أدنى ابتكار لنظرية الكمون، بل كان -في كلامه عن الكمون- متأثرًا بمؤثرات خارجية تجعل من حديثه عن الكمون مجرد تكرار لمن سبقه.

فها هو المستشرق (ماكس هورتن)[١] يرى أن قول النظَّام بالكمون يرجع في الأصل إلى (أنكساجوراس) ويستدل على ذلك بكلام الشهرستاني[٢] في تقريره لمذهب النظَّام ثم يقول هورتن: "إن مذهب النظام مأخوذ من مذهب (أنكساجوراس) وأن بينهما انطباقًا تاما[٣].

وهورتن يرفض أن يكون النظَّام قد تأثر في قوله بالكمون بالنظرية الرواقية، لأن الكمون عند النظَّام يخالف المدرسة الرواقية القائلة بأن الأشياء تتطور بفعل مبدأ فيها كما تتطور النواة، وأن الله هو ذاته العقل الذي يسري في كل شيء، ويجعله يتطور كما تتطور النواة، وأنه العلة الجرثومية وهو نفس العالم، وهو الذي يعطي الحياة للمادة ويحوي في ذاته بذور كل شيء، وهذا كله يخالف النظَّام، فليس عند النظَّام تطور حقيقي، بل ظهور شيء موجود بعد أن كان في

(١) ماكس هورتن: مستشرق ألماني ولد سنة (١٨٧٤م) عُني بدراسة الفلسفة وعلم الكلام في الإسلام، فأصدر العديد من المؤلفات التي منها: ما كان ترجمة وشرحًا لبعض المؤلفات الإسلامية، ومنها: ما كان من تصنيفه الخاص من ذلك:(ترجمة وشرح كتاب الفصوص للفارابي ـــ ترجمة وشرح حكمة الإشراق للسهروردي ـــ الفكر الديني عند المسلمين المتعلمين في العصر الحاضر ـــ الفكر الديني عند العامة في الإسلام في العصر الحاضر) مات عام (١٩٤٥م). [يراجع: موسوعة المستشرقين/ د. عبد الرحمن بدوي ص٦١٨ ــ مؤسسة دار العلم للملايين ــ بيروت ـ لبنان ـ ط/ ٣، ١٩٩٣م].

(٢) قال الشهرستاني :"من مذهبه – أي النظَّام – أن الله -تعالى- خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي .. ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده، غير أن الله تعالى أكمن بعضها في بعض، فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور الفلاسفة وأكثر ميله أبدًا إلى تقرير مذاهب الطبيعيين".[يراجع: الملل والنحل/ الشهرستاني (١/ ٥٦)].

(٣) يراجع: النظام وآراؤه الكلامية/ د. أبو ريدة ص١٤٢.

حالة كمون"[١].

وبعد عرض رأي (هورتن) في نظرية الكمون عند النظَّام يبدو لنا أن الرجل جانبه الـ صواب وأسرف في رد مذهب النظَّام إلى (أنكساجوراس).

وذلك لأن الكمون الذي يقول به النظَّام يخالف ما ذهب إليه (أنكساجوراس) والرواقيون، فكمون الرواقيين هو شبيه بكمون الشيء في البذرة مثل: كمون الإنسان (النطفة) أو كمون النخلة في النواة، وهذا النوع من الكمون لم ينقله الإمام أبو الحسن الأشعري في حق النظَّام -وهو أقدم مـ صدر لدينا- بل نفى ذلك الخياط المعتزلي وزعم أن ذلك مما اتُّهم به النظَّام من ابن الراوندي[٢] ونقله عنه البغدادي والشهرستاني وما اعتمد عليه هورتن مما حكاه ابن حزم[٣] لا يؤخذ به، لأنه من أقوال ضرار بن عمرو وهو من خصوم النظَّام[٤].

ومما يدل على ذلك أيضًا أن كمون النظَّام مخالف للكمون عند (أنسكاجوراس) فالنار عند النظَّام كامنة في العُود[٥] وأنها أحد أركانه التي بني منها، وهي عنده النار والدخان والماء والرماد، والنار عنده كامنة في جميع العُود، وفي كل ركن من هذه الأركان مركبة من مجموعة أشياء، فالنار تتكون من حر وضياء، والماء من طعم ورائحة وبلة، وهذا بدوره يخالف مذهب (أنكساجوراس) الذي يرى أن عناصر الأشياء كلها في عنـ صر واحد، فالنبات مثلاً فيه جميع

---

(١) يراجع: النظَّام وآراؤه الكلامية ص١٤٢.

(٢) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد/ لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد عثمان الخياط المعتزلي ص٥١،٥٢ تحقيق: د. نيبرج ـ دار العربية للكتاب ـ القاهرة ـ ط/ ١، ١٩٢٥م.

(٣) يقول ابن حزم:" فضرار ينسب إلى مخالفيه -أي النظَّام وأتباعه ـ أنهم يقولون بأن النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة في النواة وأن الإنسان بطوله أو عرضه وعمقه وعظمه كامن في المني" [يراجع: الملل والنحل (٥/ ٣٩)].

(٤) يراجع: الملل والنحل (٥/ ٣٩).

(٥) يراجع: الحيوان (٥/ ٤، ٢٨).

الأشياء ولكنها مختلطة متناهية في الصغر بحيث لا يمكن رؤيتها"(١).

كما أن (هورتن) مضطرب في زعمه، فبعد أن نفى عن النظَّام تأثره بالرواقيين يذهب إلى أن قول النظَّام بالتداخل كان نتاج تأثره بقول الرواقيين بالتداخل، وبذلك يظهر لنا أن الرجل مترددٌ في بيان المصدر الذي استقى منه النظَّام نظريته، مما يدل على ضعف ما ذهب إليه.

بل إن (هورتن) يأتي في موضع آخر فيرى أن قول النظَّام بالتداخل هو نتيجة لعملية عقلية خاصة من جانب النظَّام نفسه، يقول الدكتور/ محمد أبو ريدة :"لذلك يذهب هورتن إلى أن النظَّام استفاد من التداخل الرواقي في آرائه ... أو يجوز أن النظَّام -بتأمله الخاص- وصل بواسطة نظرية (أنكساجوراس) إلى نظرية جديدة هي نظرية التداخل"(٢).

أما المستشرق (ماكدونالد)(٣) فيرى أن نظرية الكمون التي قال بها النظَّام هي محاولة من رجال الفكر المسلمين للتوفيق بين القرآن الكريم الذي يقول: إن خلق الكون كان في مدة معينة، وبين أرسطو الذي يرى أن الكون قديم وسيبقى إلى الأبد"(٤).

ولكن ما ذهب إليه (ماكدونالد) من تعليل لقول النظَّام بـ(الكمون) ليس حقًّا، بل النظَّام يعتقد حدوث العالم، وهناك الكثير من الأدلة التي تدل على ذلك:

منها: ما ذكره الخياط المعتزلي نقلاً عن النظَّام وهو يصرح بحدوث العالم في أثناء رده

---

(١) يراجع: النظام وآراؤه الكلامية ص١٤٥.

(٢) يراجع: النظام وآراؤه الكلامية ص١٥٨.

(٣) مستشرق بريطاني الأصل والتنشئة، أمريكي الإقامة، ولد سنة ١٨٦٣م وكان له عناية كبيرة بدراسة العلوم الدينية الإسلامية وتاريخها، وصنف في هذا الميدان الكثير من مؤلفاته من أهمها:(تطور علم الكلام والفقه النظرية الدستورية في الإسلام ـــ حياة الغزالي ـــ الموقف الديني والحياة الدينية في الإسلام) توفي سنة (١٩٤٣م). [يراجع: موسوعة المستشرقين/ د. عبد الرحمن بدوي ص٥٣٨].

(٤) المعتزلة/ زهدي جار الله ص١٢٨ ـ الأهلية للنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ط/ ١، ١٩٧٤م.

على الدهريين الذين يعتقدون قِدَمَ العالم وأبديته، "لأنهم يزعمون أن الكواكب لم تزل تقطع الفلك، فسألهم إبراهيم فقال: ليس تخلو الكواكب من أن تكون متساوية القطع لا فضل لبعضها على بعض في السير والقطع أو بعضها أسرع قطعًا وسيرًا من بعض، فإن كانت متساوية القطع فقطع بعضها أقل من قطع جميعها، وإذا أضيف قطع بعضها إلى قطع البعض الآخر كان قطع الجميع أكثر من قطع الواحد، وإن كان بعضها أسرع من بعض قطعًا فما دخلته القلة والكثرة أيضًا متناهٍ" ثم يقول الخياط:"وإبراهيم يثبت لكل قطع أولاً ابْتُدِئ منه لا أوله له"(١).

ومنها أيضًا: ما ساقه النظَّام مستدًّلا على حدوث العالم قائلاً:" وجدت الحر مضادًّا للبرد ووجدت الضدين لا يجتمعان في موضع واحد من ذات أنفسهما، فعلمت بوجودي لهما مجتمعين أن لهما جامعًا جمعهما وقاهرًا قهرهما على خلاف شأنهما، وما جرى عليه القهر والمنع فضعيف، وضعفه ونفوذ تدبير قاهره فيه دليل على حدثه وعلى أن محدثًا أحدثه ومخترعًا اخترعه، لأن حكم ما أشبهه حكمه في دلالته على الحدث وهو الله رب العالمين"(٢).

ثم يعلق الخياط المعتزلي على استدلال النظَّام فيقول: "وإنما أراد إبراهيم أن تـ صريف هذه الأشياء ونفوذ التدبير فيها وصرفها عما في طبعها يدل على ضعفها وضعفها دال على حدثها، وحدثها يوجب أن محدثًا أحدثها إذا كان محالاً أن يكون حدث لا محدث له"(٣)، إذن فتعليل (ماكدونالد) الذي ذكره ليس له نصيب من الصحة، فالنظَّام يصرح بحدوث العالم.

وهكذا تتهاوى دعاوى المستشرقين أن النظَّام في قوله بالكمون كان متأثرًا تمامًا بمؤثرات خارجية وبناءً على ذلك فيبدو جليًّا أن الروافد التي اعتمد عليها النظَّام في نظرية الكمون تتمثل

---

(١) الانتصار/ للخياط ص٣٦.

(٢) المصدر السابق ص٤٦.

(٣) المصدر السابق ص٤٧.

فيما يأتي:

أولاً: القرآن الكريم: لأن النظَّام يرى أن القرآن الكريم تتضـمن نـ صوصًـا دالة على الكمون من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾[١] فالنار في الآية الكريمة كامنة في الشجر الأخضر"[٢].

ثانيًا: المناخ أو البيئة التي وجد فيها النظَّام: كانت تموج بمجموعة من التيارات الإلحادية مثل: الديصانية[٣] والمناوية[٤] والدهرية[٥] هذه التيارات كان لها فلسفاتها وقناعاتها العقلية، مدعومة بأسس من الأفكار الطبيعية التي تنكر خالقًا ومبدعًا للكون، وعليه كان ولابد للنظَّام من مواجهة هذه التيارات ورد هذه الأفكار، فيأتي قوله بالكمون محاولة منه لمناقشة هذه الأفكار وبيان

---

(١) الآيتان: (٧١، ٧٢) سورة الواقعة.

(٢) يراجع: الحيـوان (٥/ ٥٠).

(٣) الديصانية: هم أصحاب رجل يسمى (ديصان) وهو اسم نهر ولد عليه بالعراق، وهم يقولون بالنور والظلمة أيضًا ولكن الفرق بينهم وبين المناوية أن المناوية يقولون: إن النور والظلمة حيَّان، وهذا بخلاف الديصـانية فهم يرون النور حيًّا والظلمة ميتة، فالنور يفعل الخير قصدًا واختيارًا، والظلام يفعل الشر طبعًا، فما كان من خير فمن النور، وما كان من شر فمن الظلام. [يراجع: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ للإمام الرازي ص٨٨ تحقيق: علي سامي النشار ـــ دار الكتب العلمية – بيروت. الملل والنحل (٢/ ٥٥)].

(٤) المناوية: هم أتباع رجل يدعى (ماني بن فاتك) ولد في بابل سـنة ٢١٥م، وظهر في زمن شـابور بن ازدشـير ابن بابك من أقواله: "أن الأشـياء على ما هي عليه من امتزاج النور والظلمة، وكانا متباينين، النور في العلو والظلمة في السـفل، فامتزجا فكان العالم من امتزاجهما على قدر الامتزاج، مات مقتولًا بأمر الملك بهرام سـنه ٢٧٤م.[يراجع: الملل والنحل/ للشهرستاني (٢/ ٤٩) التوحيد/ للإمام محمد بن محمد الماتريدي ص ١٥٧ تحقيق: د. فتح الله خليف ـــــ الناشر: دار الجامعات المصرية ـــ الإسكندرية].

(٥) الدهرية: هم القائلون بقدم العالم، مع إنكارهم أن يكون هناك خالق للعالم وأن هناك حياة أخرى. [يراجع: التبصـير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين/ لطاهر بن محمد الأسـفراييني ص١٤٩ تحقيق: كمال يوسف الحوت ـ عالم الكتب – لبنان ـ ط/ ١، ١٩٨٣م].

ضعفها وركاكتها، وإبرازًا لما احتواه القرآن العظيم من مفاهيم وأفكارٍ علميةٍ تدعم قوله بالكمون.

فاستدلال النظَّام بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[1] على نظرية الكمون إشــارة منه إلى مواجهة أفكار الدهرية آنذاك، وإظهارٌ لعظيم قدرته ﷻ الذي جمع بين الماء والنار في جسـم واحد، حتى لو أننا افترضـنا صـحة ما ذهب إليه هؤلاء المســتشــرقون فلم تكن نظرية الكمون عند النظَّام مجرد نسـخٍ أو تكرارٍ لمن سـبقه، بل نستطيع إن نقول أن ما سَبق النظَّام في مسألة الكمون كان بمثابة إرهاصاتٍ لا أكثر.

لأن الرجل كان صاحب فكر ورؤية علمية مستقلة تجمع بين النقل والعقل، فالنظَّام بحث مسألة الكمون، وفقًا لثقافته الإسلامية، وفي ضوء تراثه الفكري الذي ارتضاه، وجاهزيته القوية، لأن يمتحن الأفكار والمعلومات بذاته ويطرحها مرتكزًا في معالجته وفهمه لفكرة الكمون على بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾[2] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[3].

---

(١) الآية ٨٠ سورة يس.

(٢) الآيتان: (٧١، ٧٢) سورة الواقعة.

(٣) الآية ٨٠ سورة يس

المبحث الثاني
بيان نظرية الكمون عند النَّظَّام وموقف الإسلام منها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان حقيقة نظرية الكمون عند النَّظَّام

المطلب الثاني: الموقف الإسلامي من نظرية الكمون

المطلب الأول: بيان حقيقة نظرية الكمون عند النَّظَّام

مما لا ريب فيه أن (نظرية الكمون) تمثل أهمية عظمى لدى الباحثين، لكونها مرتبطة بمسألة خلق العالم، والتي هي أيضًا من المباحث العقدية المهمة التي تناولها العلماء وشغلت حيزًا كبيرًا من أبحاثهم لأنه من خلال بحث قضية خلق العالم قد يتأتى للعقل الإنساني محاولة الوصول إلى معرفة كيف وُجد هذا العالم؟

فكان من ضمن المحاولات التي بذلها العلماء للإجابة عن هذا السؤال تأتى (نظرية الكمون)[١] والتي قال بها إبراهيم بن سيّار النظّام، والذي يُعد بلا ريب من أهم رجالات الفكر في المدرسة الاعتزاليَّة، فهو الشخصية الأشهر، والعقلية الأبرز التي تحدثت عن نظرية الكمون، فلا يذكر الكمون في الفكر عامة والفكر الإسلامي خاصة إلا ويكون النظّام في المقدمة، فقد جعل من فكرة الكمون نقطة انطلاق وحجر زاوية في فلسفته الطبيعية.

وقَوامُ هذه النظرية أن الله ﷻ خلق الموجودات والكائنات كلها دفعة واحدة، وليس هناك سبقٌ لكائنٍ على آخر في الخلق، وأن ما نشاهده من تقديم وتأخير سببه هو مسألة ظهور الموجودات من مكامنها، فالله –تعالى– خلق صفات المادة وجعلها كامنة فيها مرة واحدة، ثم

---

(١) ويُعد القول بالكمون مقابلاً لحد كبير القول بالإبداع والاختراع، فابن رشد مثلاً يقول وهو بصدد حديثه عن المذاهب التي أثبتت سببًا فاعلاً وأثبتت الكون: "أما المذهبان اللذان هما في غاية التضاد فمذهب أهل الكمون ومذهب أهل الإبداع الاختراع" [يراجع: الموسوعة الفلسفية العربية (١/ ٦٩٩)].

بدأت بعد ذلك في الظهور في الوقت الذي تهيأت فيه الأسباب المناسبة وذهبت موانع الظهور.

وبعد عرض معنى الكمون إجمالاً ننتقل لنتطلع إلى موقف النظَّام[١] وتـ صوره لهذه النظرية؟ فنجد الإمام أبا الحسن الأشعري ينقل عنه قوله بالكمون فيقول :"وكان يقول فيما حُكي عنه أن الله ﷻ خلق الأجسام ضربة واحدة"[٢]، وهذا ما أشار إليه أيضًا الخياط المعتزلي، إذ ينقل عن النظَّام قوله: "إن الله خلق الدنيا جُملة واحدة"[٣]

وهذا ما صرح به الإمام عبد القاهر البغدادي نقلاً عن النظَّام:" أن الله –تعالى– خلق الناس والبهائم وسائر الحيوان، وأصناف النبات والجواهر المعدنية كلها في وقت واحد، وأن خلق آدم عليه السلام لم يتقدم على خلق أولاده ولا تقدم خلق الأمهات على خلق الأولاد، وزعم أن الله –تعالى– خلق ذلك أجمع في وقتٍ واحد، غير أن أكمن بعض الأشياء في بعض، فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من أماكنها"[٤].

ويبدو مما سبق أن النظَّام قد رأى في نظرية الكمون[٥] حلاًّ لمشكلة خلق العالم، ولكنه

---

(١) اكتفيت هنا بالحديث عن نظرية الكمون عند إبراهيم النظَّام لكونه هو أكثر من تحدث عنها وتوسع في بيانها في البيئة الإسلامية، وبالتالي فكلامنا عن الكمون عند النظام يتناول موقف مفكر من مفكري الإسلام استطاع أن يجعل من الكمون اتجاهًا من الاتجاهات التي تبحث عن مسألة الخلق، مع ربط هذا الاتجاه بما دلت عليه ثقافته الإسلامية.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٢/ ٢٩٨).

(٣) الانتصار/ الخياط المعتزلي ص٥٢.

(٤) الفرق بين الفرق ص١٢٧.

(٥) قول النظام بالكمون لا يلزم منه القول بالطبع وأن ما يطرأ في الأجسام من تغيرات واقع بطبع المحل لأن النظام لا يقول بذلك، بل يرجع كل ما يقع في العالم من حيث الكمون والظهور إلى قدرته –تعالى– فحفظ الوجود على هذا الهيئة والشكل مرجعه إلي القدرة الإلهية –كما سيظهر في استدلاله بالنصوص الدينية على الكمون– [يراجع: الأساس القرآني لنظرية الكمون عند النظام المعتزلي/ د. محمد عبد الستار نصار ص١٧٦،١٧٧ ــ جامعة قطر حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ مكتبة البنين ـ قسم الدوريات ـ العدد: الخامس ـ ١٩٨٧].

وجد أن هناك نوعًا من الغموض يكتنف هذه النظرية، فساق بعضًا من الأمثلة العملية التي تُجلّي هذا الغموض وتكشفه، فنجده يستدل بكمون النار في الحطب كما ينقل عنه تلميذه الجاحظ.

فيقول:" وكان أبو إسحاق يزعم أن احتراق الثوب والحطب والقطن إنما هو خروج نيرانه منه، وهذا هو تأويل الاحتراق، وليس أن نارًا جاءت من مكان فعملت في الحطب، ولكن النار الكامنة في الحطب لم تكن تقوى على نفي ضدّها عنها، فلما اتصلت بنار أخرى واستمدّت منها قويتا جميعًا على نفي ذلك المانع، فلما زال المانع ظهرت، فعند ظهورها تجزّأ الحطب وتجفف وتهافت لمكان عملها فيه"(١).

ويؤكد النظَّام على قوله بالكمون بأن العلة في احتراق الشــيء ســببه إثارة ما كان فيه من كمون للنار من خلال النار الحارقة ودورها في ارتفاع العائق لتجتمع النار الخارجية بالنار المستترة في الشيء المحترق.

فيقول فيما ينقله عنه الجاحظ :" ونحن إنما صرنا إذا أطفأنا نار الأتّون وجدنا أرضه وهواه وحيطانه حارّة، ولم نجدها مضــيئة لأن في الأرض وفي الماء الذي قد لابس الأرض حرًّا كثيرًا وتداخُلاً متشــابكًا وليس فيهما ضــياء، وقد كان حر النار هيّج تلك الحرارة فأظهرها، ولم يكن هناك ضياءٌ من مُلابسٍ فهيّجه الضياء وأظهره، كما اتصل الحرّ بالحرّ فأزاله من موضعه وأبرزه من مكانه فلذلك وجدنا أرض الأتّون وحيطانها وهواها حارّة ولم نجدها مضيئة"(٢).

ثم إن النظَّام يسوق مثالاً آخر لتقرير قوله بالكمون، فيذهب إلى الاستدلال بفكرةٍ مشاهدةٍ وهي أن الزيت الذي يُضـاءُ به المـصباح هو في نفســه يحمل نارًا مســتترة بداخله، والنقص الذي نشــاهده للزيت عند إشــعال المـصباح ليس ســببه أن النار تلتهم الزيت ولكن العلة في ذلك هو

---

(١) الحيوان (٥/ ١٠).

(٢) الحـيـوان (٥/ ٤).

نقص النار الكامنة في الزيت، يقول الجاحظ: "وكان يزعم أن نار المـصباح لم تأكل شـيئًا من الدّهن ولم تشربه، وأن النار لا تأكل ولا تشرب، ولكن الدهن ينقص على قدر ما يخرج منه من الدخان والنار الكامنين، اللذين كانا فيه"[1].

ولا يكتفى إبراهيم النظَّام بذلك بل يصرح يستدل بالقياس فقاس بين ما في الإنسان من دم يسرى في جسمه وما في السمسم من زيت وبين الحجر والعود من نار سارية وأن إنكار ذلك يلزم منه إنكار جريان الدم في الإنسـان والماء في النبات، فيقول: "الدليل على أن في الحجر والعود نارًا مع اختلاف الجهات أنه يلزم من أنكر ذلك أن يزعم أن ليس في السّـمسـم دهن ولا في الزّيتون زيت، ومن قال ذلك لزمه أن يقول: أن ليس في الإنسان دم"[2].

ونلاحظ مما سبق أن النظَّام حاول جاهدًا أن يقرر قوله بالكمون بالأدلة العقلية والتجريبية التي رأى فيها ما يعضد نظريته بل ذهب بعيدًا ليستدل بأدلة من القرآن الكريم يرى فيها دليلاً على قوله بالكمون.

من ذلك: قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾[3] فالضمير في قوله (شجرتها) عائد على النار وقد أضيف إلى الشجرة وهذا يدل على أن كمون النار في الشجرة "قال أبو إسحاق: قال الله ﷻ عند ذكر إنعامه على عباده وامتنانه على خلقه فذكر ما أعانهم به من الماعون: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ... ﴾ وكيف قال

---

(١) الحيوان (٥/ ١١).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٤).

(٣) الآيتان: (٧١، ٧٢) سورة الواقعة.

(شــجرتها) وليس في تلك الشــجرة شــيء... وقدرة الله على أن يخلق النار عند مسّ الطّلق[١]، كقدرته على أن يخلقها عند حكّ العود وهو-تعالى وعز- لم يُرِد في هذا الموضــع إلا التعجيب من اجتماع النار والماء"[٢].

ومن ذلك أيضًــا: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[٣] أي: إن هذا الشجر الأخضر الممتلئ بالماء الذي هو ضد النار وهما لا يجتمعان فأخرج الله -تعالى- بقدرته منه نارًا كامنًا فيه، يقول النظَّام :"ولو كان الأمر في ذلك على أن يخلقها ابتداءً لم يكن بين خلقها عند أخضر الشــجر وعند اليابس الهشـيم فرقٌ، ولم يكن لذكر الخضرة الدّالة على الرطوبة معنى"[٤].

ولكن قول النظَّام بالكمون لا يعني بالضرورة أن كل أنواع الكوامن عنده على درجة واحدة وصورة واحدة من الظهور والاستخراج، فكل كامن له طريقة في استخراجه تخالف الآخر، يقول النظَّام:" إن لكل نوعٍ منها نوعًا من الاســتخراج، وضــربًا من العلاج فالعيدان تُخرِجُ نيرانها بالاحتكاك، واللبن يخرج زبده بالمخض، وجبنه يجمع بإنفحّة وبضــروب من علاجه، ولو أن إنســانًا أراد أن يخرج القطران من الـ ّصنوبر والزّفت من الأرز لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدقّه ويقشره، بل يوقد له نارًا بقربه فإذا أصابه الحرّ عرق وسال في ضروب من العلاج"[٥].

---

(١) نبت: تستخرج عصارته فيتطلى بِهِ الَّذين يدْخلُونَ فِي النَّار. [يراجع: المحكم والمحيط الأعظم/ لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٦/ ٢٨٣) تحقيق: عبد الحميد هنداوي ـ دار الكتب العلمية ــ بيروت ـ ط/ ١ ٢٠٠٠م المخصص/ ابن سيده المرسي (٣/ ٢٨٦) تحقيق: خليل إبراهم جفال ـ دار إحياء التراث العربي بيروت ــ ط/ ١، ١٩٩٦م.].

(٢) الحيــوان (٥/ ٥١).

(٣)الآية ٨٠ ســورة يس.

(٤) الحيــوان (٥/ ٥١).

(٥) الحيوان (٥/ ٢٨).

وبعد أن ساق إبراهيم النظَّام الكثير من الأدلة في سبيل تأكيد قوله بالكمون أخذ يرد على اعتراضات مخالفيه لتسلم له نظريته، وهذا شأن كل الأفكار غير المعتادة تجد في بداية أمرها من يعارضها، وأقوى اعتراض يورده المخالفون للكمون "قولهم: إن هذا الحرّ الذي رأيناه قد ظهر من الحطب لو كان في الحطب لكان واجبًا أن يجده من مسّه، كالجمر المتوقد إذا لم يكن دونه مانع منه، ولو كان هناك مانعٌ لم يكن ذلك المانع إلا البرد، لأن اللون والطعم والرائحة لا يفاسد الحرّ ولا يمانعه إلا الذي يضادّه، دون الذي يخالفه ولا يضاد"(١).

ولكن هذا الاعتراض لا يـ صمُدُ طويلاً أما جواب النظَّام الذي يقول:" والجواب عن ذلك أنا نزعم أن الغالب على العالم السفليّ الماء والأرض وهما جميعًا باردان، وفي أعماقهما وأضعافهما من الحر ما يكون مغمورًا ولا يكون غامرًا، ويكون مقموعًا ولا يكون قامعًا؛ لأنه هناك قليل والقليل ذليل ... فلما كان العالم السفلي كذلك اجتذب ما فيه من قوة البرد، وذلك البرد الذي كان في العود عند زوال مانعه، لأن العود مقيم في هذا العالم"(٢).

ومن الاعتراضات أيضًا التي وردت على نظرية الكمون زعمُهم "أن النار لم تكن كامنة – أي في العود- وكيف تكمن فيه وهي أعظم منه؟ ولكنّ العود إذا احتكّ بالعود حمي العودان، وحمي من الهواء المحيط بهما الجزء الذي بينهما، ثم الذي يلي ذلك منهما، فإذا احتدم رقّ ثم جفّ والتهب، فإنما النار هواء استحال ... والنار التي تراها أكثر من الحطب إنما هي ذلك الهواء المستحيل، وانطفاؤها بطلان تلك الأعراض الحادثة من النارية فيه، فالهواء سريع الاستحالة إلى النار"(٣).

---

(١) الحيوان (٥/ ٩).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٩).

(٣) الحيوان (٥/ ٧).

ويجيب إبراهيم النظَّام على هذا الاعتراض فيقول:" قد زعمتم أن النار التي عاينّاها لم تخرج من الحطب، ولكنّ الهواء المحيط بهما احتدم واستحال نارًا، فلعلّ الحطب الذي يسيل منه الماء الكثير أن يكون ذلك الماء لم يكن في الحطب، ولكنّ ذلك المكان من الهواء استحال ماء وليس ذلك المكان من الهواء أحقّ بأن يستحيل ماء من أن يكون سبيل الدخان في الاستحالة سبيل النار والماء، فإن قاس القوم ذلك فزعموا أن النار التي عاينّاها، وذلك الماء والدخان في كثافة الدخان وسواده، والذي يتراكم منه في أسافل القدور وسقف المطابخ إنما ذلك هواء استحال، فلعلّ الرماد أيضًا هواء استحال رمادًا"[١].

ويلزم من قول النظّام بالكمون أن هناك مداخلةً تقع بين الأجسام، فالأجسام اللطيفة تداخل الأجسام الأقل لطافة، فكل شيء كما يرى النظّام قد يداخلُ خلافه أو ضده، فالحلاوة قد تداخل المرارة والحر يداخل البرد، يقول الإمام الأشعري نقلاً عن النظَّام:"إن كل شيء قد يداخل ضده وخلافه فالضد هو الممانع المفاسد لغيره مثل: الحلاوة والمرارة، والحر والبرد، والخلاف مثل: الحلاوة، والبرودة، والحموضة والبرد"[٢].

فالأعراض عند إبراهيم النظَّام أجسامٌ لطيفة تداخلُ الجواهر حتى تصبح حيزًا واحدًا، "فالخفيف قد يداخل الثقيل، ورب خفيفٍ أقل كيلاً من ثقيل وأكثر قوة منه، فإذا داخله شغله، يعني أن القليل الكيل الكثير القوة يشغل الكثير الكيل الثقيل القوة"[٣].

ولكن يبدو أن الذي حَمل النظّام على قوله بالتداخل هو اعتقاده بعدم تناهى الجسم، إذ إنه يعتقد بجسم لا نهاية لأجزائه[٤] مع كون هذا الجسم متحيزًا، وهذا ما أشار إليه نصير الدين

---

(١) الحيــوان (٥/ ٨).

(٢) مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٥٠).

(٣) مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٥٠).] يراجع: الموسوعة الفلسفية العربية/ عاطف العراقي مادة الكمون (١/ ٧٠٠).

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق ص١١٣ ـ الانتصار/ للخياط ص٣٤.

الطوسي بقوله:" لما التزم النظّام القول بوجود الجواهر الفردة غير المتناهية في الجسم المتناهي لزمه القول بتداخل الجواهر"(١).

وما ذهب إليه نصير الطوسي أكده من قبلُ الإمامُ الأشعريُ، إذ يقول عن النظَّام:" وكان يثبت الألوان والطعوم والأراييح والأصوات والآلام والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أجسامًا لطافًا، ويزعم أن حيز اللون هو حيز الطعم والرائحة، وأن الأجسام اللطاف قد تحل في حيز واحد، وكان لا يثبت عرضاً إلا الحركة فقط"(٢).

وعليه يكون التداخل لدى النظَّام هو بمعنى أن الأجسام الأكثر لطافة تداخلت وكمنت في الأقل كثافة سواءٌ أكان عن طريق المتضادين ككمون الحلاوة في المرارة أم المختلفين مثل الطعم واللون.

المطلب الثاني: الموقف الإسلامي من نظرية الكمون.

بعد الحديث عن نظرية الكمون عند النظَّام والتي يري فيها أن الله ﷻ خلق العالم جُملة واحدة وليس هناك سابقٌ ولاحقٌ في الخلق، وأن ما نشاهده من تقديم وتأخير سببه هو ظهور الموجودات من مكامنها يتكشف لدينا أن نظرية الكمون عند النظَّام تمثل أهمية كبرى، لكونها مرتبطة بأهم قضيةٍ عقدية ألا وهي قضية الخلق، إلا أن هذه النظرية ومع أهميتها نجدها عند دراستها لا تتوافق وموقف الإسلام من مسألة الخلق، فهي تتعارض مع مدلول الشرع الحكيم.

أما القرآن الكريم: فقد تحدث في عدة مواضع عن خلق عناصر العالم خلقًا من العدم وليس ظهورًا بعد كمون وليس جملة واحدة كما تقول نظرية الكمون، وهنا نذكر بعضًا من هذه المخلوقات وهي كما يأتي:

---

(١) محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين/ فخر الدين الرازي -وبذيله تلخيص المحصّل- لنصير الدين الطّوسي ص١٣٣ ـ قدم له: طه عبد الرؤف سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

(٢) مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٦١) [يراجع: الملل والنحل (١/ ٥٦)].

أولاً: خلق السماوات والأرض: فالقرآن الكريم يحدثنا في آيات كثيرة أن الله ﷻ خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام قال جل شأنه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[2] فالآيات الكريمة تنص صراحة على أن خلق السموات والأرض وما بينهما كان في ستة أيام ولم يكن جُملة واحدة خلقًا عن عدم وليس ظهورًا عن كمُون.

ومن المعلوم أن الله ﷻ قادر على خلق العالم بكلمة (كن) ولكن ما وقع في خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام كان من باب التدرج، والحث على التثبت (التأني) في الأمور كلها، وهذا ما صرح به الإمام الفخر الرازي قائلاً:" أما السؤال الثالث: إن حدوث السموات والأرض دفعة واحدة أدل على كمال القدرة والعلم من حدوثها في ستة أيام.

فجوابه: أن المقصود منه أنه ﷻ وإن كان قادرًا على إيجاد جميع الأشياء دفعة واحدة لكنه جعل لكل شيء حدًّا محدودًا ووقتًا مقدرًا ... ويدل على هذا قوله تعالى في سورة ق: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[3] بعد أن قال قبل هذا: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[4] فأخبرهم بأنه قد أهلك من المشركين به والمكذبين لأنبيائه من كان أقوى بطشًا من مشركي العرب إلا أنه أمهل هؤلاء لما

---

(١) الآية ٥٩ سورة الفرقان.

(٢) الآية ٤ سورة السجدة.

(٣) الآية ٣٨ سورة ق.

(٤) الآيتان: (٣٦، ٣٧) سورة ق.

فيه من المصلحة، كما خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام متصلة لا لأجل لغوبٍ لحقه في الإمهال، ولما بيّن بهذا الطريق أنه -تعالى- إنما خلق العالم لا دفعة لكن قليلاً قليلاً قال بعده: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ من الشرك والتكذيب"[(١)].

ثانيًا: خلق نبي الله آدم عليه السلام: وهذا ما نجد أن القرآن يُسْهبُ في الحديث عنه، وذلك لما للإنسان من مكانة عظيمة بين جميع خلقه، فهو خليفة الله عز وجل في أرضه ويخبرنا القرآن أن آدم عليه السلام مر في خلقه بمراحل متعددة هي كالتالي:

- **مرحلة خلق آدم عليه السلام من تراب:** قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾[(٢)]ثم هذا التراب مُزج بالماء فصار طينًا.
- **مرحلة الطين**: قال تعالى ذكره: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴾[(٣)] ثم تغير هذا الطين وتحول حتى صار طينًا لازبًا أي: ملتـ صقًا ومتماسكًا قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾[(٤)] أي: الثابت الشّديد الثّبوت[(٥)].
- **مرحلة الحمأ المسنون**: وهي تحولُ الطينِ بعد أن كان طينًا لازبًا إلى حمأٍ مسنون وهو الطين

---

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)/ للإمام محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الفخر الرازي (١٤/ ٢٥٧) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ط/ ٣،١٤٢٠هـ.

(٢) الآية ٥ سورة الحج.

(٣) الآية ٧١ سورة ص.

(٤) الآية ١١ سورة الصافات.

(٥) المفردات في غريب القرآن/ الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص٧٣٩ تحقيق: صفوان عدنان الداودي ـ الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق ـ بيروت ــ ط/ ١، ١٤١٢هـ .

الأسود المتغير الرائحة[١] قال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٢].

- **مرحلة الصلصال**: وهو الطين اليابس المشكَّل الذي يحدث صوتًا وصلصلةً عند ضربه كالفخَّار[٣] قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾[٤].
- **مرحلة التسوية ونفخ الروح**: وتأتي هذه المرحلة بعد مرور آدم عليه السلام بكل المراحل السابقة قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[٥] كل ذلك عن طريق الخلق من العدم مع تدرج آدم عليه السلام في أطوار الخلق وليس جُملة واحدة.

يقول الإمام النسفي:"وفي الأول كان ترابًا فعجن بالماء فصار طينًا فمكث فصار حمأً فخلص فصار سلالة فصوِّر ويبس فصار صلصالاً"[٦] وبين كل طور والذي يليه زمنٌ لا يعلم مقداره إلا الله –تعالى–، ولذلك يقول النبي ﷺ:" لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ"[٧].

وبعد اكتمال خلق آدم عليه السلام خلقت منه حَواء فهي متأخرة عنه في الوجود قال جل شأنه:

---

(١) المصدر السابق ص٢٥٩.

(٢) الآية ٢٦ سورة الحجر.

(٣) غريب القرآن المسمى (بنزهة القلوب) / محمد بن عُزير السجستاني ص٣٠٦ تحقيق: محمد أديب عبد الواحد، الناشر: دار قتيبة – سوريا – ط/ ١، ١٩٩٥م.

(٤) الآية ١٤ سورة الرحمن.

(٥) الآية ٢٩ سورة الحجر.

(٦) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)/ لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (٢/ ١٨٨) تحقيق: يوسف علي بديوي – الناشر: دار الكلم الطيب – بيروت – ط/ ١، ١٩٩٨م.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه – كتاب البر والصلة والآداب – بَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ (٤/ ٢٠١٦ ح٢٦١١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾[1] وفي كون حواء مخلوقة من آدم عليه السلام قولان: الأول: وهو الذي عليه الأكثرون أنه لما خلق الله آدم عليه السلام ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، واحتجوا عليه بقول النبي ﷺ: «**إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فإن ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها**»[2] الثاني: أن المراد من قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ أي من جنسها وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾[3]

والقول الأول: أقوى لكي يصح قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾، إذ لو كانت حواء مخلوقة ابتداءً لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفسٍ واحدة"[4].

ثالثًا: خلق ذرية آدم عليه السلام: فالقرآن يخبرنا أن الإنسان في بدايته كان نطفةً، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة كونه علقة، ثم مرحلة كونه مضغة، ثم مرحلة كونه عظامًا، ثم تُكسى هذه العظام لحمًا، ثم يكون بقدرته سبحانه وتعالى خلقًا كاملاً.

فكل مرحلة من مراحل خلق الإنسان وتكوينه سماها القرآن خلقًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ

---

(١) الآية ١ سورة النساء.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ولكن جاء بألفاظ مقاربة عند الإمام البخاري فقد أخرجه في صحيحه ــ كتاب أحاديث أنبياء ــ باب خلق آدم وذريته ــ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ. (٤/ ١٣٣ح٣٣٣١) وكذلك الإمام مسلم بنفس ألفاظ البخاري ـ كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء ـ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢/ ١٠٩١ح ١٤٦٨).

(٣) الآية ٧٢ سورة النحل.

(٤) تفسير الرازي (٩/ ٤٧٨).

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [(١)] فهذه سبعة أطوار من الخلق يمر بها الإنسان حال خلقه وتكوينه.

المرحلة الأولى: طور الطين: قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ يقول الإمام الفخر الرازي :"المراد بالإنسان هنا قيل: آدم عليه السلام فآدم سُل من الطين وخلقت ذريته من ماء مهين، وقيل المراد بالإنسان ذرية آدم عليه السلام والطين هاهنا اسم آدم عليه السلام والسلالة هي الأجزاء الطينية المبثوثة في أعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في أوعية المني صارت منيًّا وهذا التفسير متوافقٌ وقوله جل شأنه: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾[(٢)][(٣)].

المرحلة الثانية: طور النطفة: [(٤)] قال جل شأنه: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾ ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ﴾[(٥)] النطفة وهي مني الإنسان جعلها الله سبحانه وتعالى في قرار مكين من المرأة وهو موضع الولد، فكأن القرار هو المتمكن في الرحم"[(٦)].

---

(١) الآيات: (١٢ ــ ١٤) سورة المؤمنون.

(٢) الآيتان: (٧، ٨) سورة السجدة.

(٣) يراجع: تفسير الفخر الرازي (٢٣/ ٥٦٥،٥٦٤).

(٤) والنطفة أيضًا في حد ذاتها تمر بأربع مراحل ذكرها العلماء ودل عليها الشرع الحكيم هي: (مرحلة الماء الدافق ـــــ مرحلة السلالة ــ مرحلة الأمشاج ــ مرحلة الحرث). [يراجع: مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن/ منى رفعت داعيس عبد الرازق ص٥٧ ــ جامعة النجاح الوطنية ــ نابلس فلسطين ـــ ٢٠٠٣م. خلق الانسان بين العلم والقرآن/ د. حمد الرقعي ص٤٩، ٥٠ ــ دار الجماهرية للنشر والتوزيع ـ الجماهرية العربية الليبية المشتركة العظمي].

(٥) الآية ٣٧ سورة القيامة.

(٦) يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ للإمام عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن عطية الأندلسي (٤/ ١٣٨) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ــ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط/ ١، ١٤٢٢هـ.

المرحلة الثالثة: طور العلقة: قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[1] أي تحولت هذه النطفة بقدرته ﷻ عن صفاتها إلى صفات العلقة وهي الدم الغليظ الجامد، سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه"[2].

المرحلة الرابعة: طور المضغة: قال تعالى ذكره: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي: تحولت هذه العلقة بأمره ﷻ إلى مضغة: أي قطعة من اللّحم مقدار ما يُمضغ لا شكل فيها ولا تخطيط"[3].

المرحلة الخامسة: طور تكون العظام: قال جل شأنه: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ أي: بعد أن تخلقت المضغة وتميزت أجزاؤها، جعلها الله ﷻ متصلبة لتكون عمودًا للبدن على أشكال مخصوصة"[4]

المرحلة السادسة: طور اكتساء العظام باللحم: قال تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ أي: فكسونا هذه المضغة التي تحولت بقدرته ﷻ إلى عظام دقيقة باللحم بحيث صار هذا اللحم ساترًا للعظام ومحيطًا بها"[5].

---

(١) الآية ٢ سورة العلق.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) / للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي (٢٠/ ١١٩) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ــ الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ـ ط/ ٢، ١٩٦٤م.

(٣) تفسير القرآن العظيم/ للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (٥/ ٤٠٦) تحقيق: محمد حسين شمس الدين ــ الناشر: دار الكتب العلمية ــ منشورات محمد علي بيضون – بيروت ــ ط/ ١، ١٤١٩هـ .

(٤) فتح القدير/ للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (٣/ ٥٦٥) الناشر: دار ابن كثير دار الكلم الطيب – دمشق ـ بيروت ـ ط/ ١، ١٤١٤هـ .

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ للشيخ: محمد سيد طنطاوي (١٠/ ١٧) الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ــ ط/ ١، ١٩٩٨م.

المرحلة السابعة: طور الخلق الآخر: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وهو ما يكون عليه الإنسان بعد نفخ الروح، يقول أبو القاسم الزمخشري: " أي: خلقًا مباينًا للخلق الأول مباينةً ما أبعدها، حيث جعله حيوانًا وكان جمادًا، وناطقًا وكان أبكمًا، وسميعًا وكان أصمًا، وبصيرًا وكان أكمهًا وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف الواصفين "(١).

هذا حديث القرآن الكريم عن خلق السموات والأرض وما بينهما، وخلق آدم عليه السلام وذريته من بعده ولا نجد في هذا الخلق مكانًا لنظرية الكمون، بل نرى أن مسألة الخلق كانت إيجادًا من العدم في أزمنةٍ ومراحل متتاليةٍ قدرها الله سبحانه وتعالى عن طريق استمرارية الخلق وهذا ما يسمى بـ(نظرية الخلق المستمر).

التي قال بها أهل السنة والجماعة واستخدموها في الرد على الملاحدة القائلين بالطبائع، وأن الأسباب بذاتها هي العامل الرئيس في ظهور الموجودات فكان الرد بأن انعدم الأعراض ثم تجدد حدوثها دالٌ على حدوث العالم، يقول الإمام عضد الدين الإيجي :"يرى الإمام الأشعري ومن يتبعه أن الأعراض فانية ولا تبقى زمانين وكل منها ينقضي بإرادة الخالق وبالوقت الذي يريد ذلك، وعدم بقائها زمانين كونها محتاجة للمؤثر ولو اكتفت بنفسها لما عادت بحاجة للباري -تعالى- عدمًا أو وجودًا"(٢).

أما إذا ذهبنا إلى السنة النبوية: لنستعرض موقفها من (نظرية الكمون) لنجدها أيضًا لا تتوافق مع كمون النظَّام إذ إن هناك العديد من الأحاديث التي تدل صراحة على أن العالم لم

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (٣/ ١٧٨) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ـ ط/ ٣، ١٤٠٧هـ

(٢) المواقف في علم الكلام/ للإمام عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (١/ ٤٩٨) تحقيق: عبد الرحمن عميرة دار الجيل ــ لبنان ــ بيروت ــ ط١، ١٩٩٧م.

يُخلق جملة واحدة بل خُلق في مراحل زمنيةٍ متتاليةٍ قدرها الله ﷻ، خلقًا وإيجادًا من العدم وهنا نسوق بعضًا من الأدلة على ذلك:

أولاً: تقدم بعض أفراد العالم على بعض في الخلق: بمعنى أن هناك سابقًا ولاحقًا في خلق الموجودات، مما ينافي مضمون الكمون الذي يراه النظَّام، والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي:

١- قوله ﷺ:" كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"(١) فالحديث يـ صرح بأن كتابة مقادير العباد متقدمة في الوجود على خلق السموات والأرض، فالله ﷻ أمر القلم أن يثبت في اللوح المحفوظ ما سيوجد من الخلائق من أعمالٍ خيرًا كانت أو شرًّا، يقول الإمام النووي :"وقوله (وعرشه على الماء) أي قبل خلق السماوات والأرض، والله أعلم"(٢)

٢- قوله ﷺ:" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"(٣) ففي الحديث دليل على أن أول المخلوقات التي خُلقت هو

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ــــ بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- كتاب القدر ــــ باب حجاج آدم وموسى -عليهما السلام- (٤/ ٢٠٤٤ ح ٢٦٥٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي (١٦/ ٢٠٣) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ــ ط/ ٢، ١٣٩٢هـ.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه ــــ بسنده عن عبادة بن الصامت ﷺ ــــ كتاب السنة ــــ باب في القدر (٤/ ٢٢٥ ح ٤٧٠٠) والإمام الترمذي في سننه ــ بسنده عن عبادة بن الصامت ﷺ ـ كتاب تفسير سور القرآن ـ باب ومن سورة ن (٥/ ٤٢٤ ح ٣٣١٩) وقال:" هذا حديث حسن صحيح".

(القلم) على اختلاف بين أهل العلم هل العرش خُلق أولاً أو القلم؟[١] ولكن حاصل هذا الخلاف ومؤداه أن القلم أو العرش هما أول مخلوقاته ﷻ التي خُلقت، وهذا ما أجمع عليه سلف الأمة وهذا ما ينافى نظرية الكمون.

يقول الإمام عبد القاهر البغدادي:"قوله –أي النظَّام– بأن الله تعالى خلق الناس والبهائم وسائر الحيوان.. كلها في وقت واحد وأن خلق آدم عليه السلام لم يتقدم على خلق أولاده وفى هذا تكذيب منه لما اجتمع عليه من سلف الأمة ... من أن الله –تعالى– خلق اللوح والقلم قبل خلق السموات والأرض"[٢]

٣- قوله ﷺ عن مراحل خلق الإنسان: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ"[٣].

فالحديث هنا يـ صرح بأن الإنسان لم يُخلق مرة واحدة بل مر بأطوارٍ مختلفة من الخلق، فيكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا، ثم تكسى هذا العظام لحمًا، ثم ينفخ فيه الروح فيكون

---

(١) والأصح أن العرش خُلق قبل القلم، لدلالة حديث عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– :" كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم بحديث عبادة رضي الله عنه المتقدم.[يراجع: شرح العقيدة الطحاوية/ محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي ص٢٦٥ الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة ـــ الطبعة المصرية الأولى، ٢٠٠٥م].

(٢) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ص١٢٧.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـــ بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـــ كتاب بدء الخلق ـــ بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (٤/ ١١١ ح٣٢٠٨).

خلقًا آخر مكتملاً، وهذا ما أشار إليه الإمام الفخر الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1]: "أي: تارات خلقكم أولاً ترابًا، ثم خلقكم نطفًا، ثم خلقكم علقًا، ثم خلقكم مضغًا ثم خلقكم عظامًا ولحمًا، ثم أنشأكم خلقا آخر"[2].

ولعل في خلق الإنسان على هذا النحو من المراحل المختلفة حِكمًا ربانية يجملها لنا الإمام البدر العيني فيقول: "منها: أنه لو خلقه دُفعة واحدة لشق على الأم، لأنها لم تكن معتادة بذلك، وربما تهلك فجعل أولاً نطفة لتعتاد بها مدة ثم تكون علقة وهَلم جَرًّا... إلى الولادة. ومنها: إظهار قدرة الله -تعالى- ونعمته ليعبدوه ويشكروا له حيث قلبهم في تلك الأطوار إلى كونهم إنسانًا حسن الصورة"[3] قلت: ويدخل من ضمن الحِكم أيضًا إبطال القول بأن العالم خُلق دفعة واحدة ظهورًا عن كمون.

ومما تقدم يتجلى لنا الموقف الإسلامي الرافض لنظرية الكمون، لكونها تتعارض مع ما دل عليه الكتاب والسنة من أن خلق الموجودات كان عن طريق الإيجاد من العدم خلقًا مستمرًّا وليس جُملة واحدة.

أما من الناحية العقلية: فالعقل لا يسلمُ بصحة نظرية الكمون -فضلاً عن معارضتها لمدلول الشرع كما تقدم- وذلك لما يأتي:

أولاً: القول بنظرية الكمون يستلزم القول بتداخل الأجسام، فالتداخل هو الوجه الآخر لمعنى الكمون عند النظّام يقول الإمام الأشعري فيما ينقله عن النظّام: "إن كل شيء قد يداخل ضده

(١) الآية ١٤ سورة نوح.

(٢) تفسير الرازي (٣٠/ ٦٥٣).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ للإمام محمود بن أحمد بن موسى الحنفى بدر الدين العيني (١٥/ ١٣٠) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

وخلافه، فالضد هو الممانع المفاسد لغيره مثل الحلاوة والمرارة والحر والبرد، والخلاف مثل الحلاوة والبرودة والحموضة والبرد، وزعم أن الخفيف قد يداخل الثقيل ورب خفيف أقل كيلاً من ثقيل وأكثر قوة منه، فإذا داخله شغله يعني أن القليل الكيل الكثير القوة يشغل الكثير الكيل الثقيل القوة"(١).

وهذا أمر ظاهر البطلان، لأنه يلزم منه أن تتداخل الأجسام في حيزٍ واحدٍ وهذا ممتنع، يستوي في ذلك الجسم اللطيف والكثيف وإن أُطلق في التجاوز فالمراد تجاورها لا تداخلهما وهذا ما ذهب إليه الإمام الأشعري.

يقول ابن فورك نقلاً عن الإمام الأشعري:"وكان ينكر قول النظَّام في المداخلة ويقول: إن الأجسام لا يصح فيها التداخل على معنى أن تكون أجسامًا كثيرة في حيز واحد من جهة واحدة من وجه واحد، ويقول: إن الأجسام تشغل أماكنها ولا يجوز وجود جسمين في محل فعلى هذا الأصل قوله في الكامنات ككون الزيت في الزيتون والدهن في السمسم وأن ذلك على طريق المجاورة لا المداخلة"(٢).

وهذا ما صرح به الإمام الجويني أنه مذهب أهل السنة فيقول:" ما صار إليه أهل الحق أن الجواهر لا تتداخل ولا يجوز وجود جوهر بحيث ذات جوهر آخر وإن أطلق في التجاوز تداخل الجواهر واختلاطها فالمعني بذلك تجاورها"(٣).

بل إن إمام الحرمين جعل القول بتداخل الجواهر والأجسام في حيز واحد قريبًا من نفي

---

(١) مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٥٠).[يراجع: الموسوعة الفلسفية العربية/ د. عاطف العراقي ـ مادة: الكمون (١/ ٧٠٠).

(٢) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري/ لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ص٢٧٠ تحقيق: دانيال جيماريه ـ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٨٧م.

(٣) الشامل في أصول الدين/ للإمام عبد الملك الجويني ص١٦٠، تحقيق: علي سامي النشار ـــــ منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٦٩م.

الضـــرورات، ولو صـــح هـذا التـداخـل لجـاز القول بتـداخـل العـالم كلـه في بـذرة واحـدة، فيقول:"وذهب النظّام إلى تجويز تداخل الجواهر فقال إذا تحيزت جملة فيجوز وجود جملة بحيث وجودها، وهذا الذي قاله قريب من جحد الضـــرورات فإنا لو جوزنا جملة بحيث وجود جملة لم تكن واحدة أولى من جُملٍ، ويلزم على طرد ذلك تجويز وجود جملة أجزاء العالم في خردلة وهذا لا ينتهي إليه عاقل"(١).

ويســتطرد الإمـام الجويني في الرد على النظَّام ويلزمـه مـا يترتـب على قولـه بـالتـداخـل فيقول:"إذا كنت تســوغ ما قلته فما يؤمنك أن تكون الخردلة التي تشــاهدها قد داخلتها أفرادٍ جمل لو لم تتداخل لكانت جبالاً؟ ... فإذا لزمك أن تكون الخردلة الواحدة قد داخلتها أجرامٌ لا تحصى فينبغي أن تجوز أن تنفصل منها الأجرام الكثيرة ونحن نعلم أن من انتظر خروج أضعاف الجبال العالم من خردلة من غير أن يحدث حادث فقد جحد البدائه"(٢).

حتى مع فرض الاحتمالات التي ربما يرى النظَّام أنها قد تجوز تداخل الجواهر نجد أن التداخل أمر ترفضــه العقول وتحيله الأفهام، وهذا ما حدا بالإمام ســيف الدين الآمـــــدي إلى مناقشة هذه الاحتمالات مع تمحيصها وإظهار بطلانها.

فيقول:" لو جاز تداخل الجواهر: فإما أن يقال عند التداخل باتّحاد الجواهر المتداخلة، أو تعددها، فإن قيل بالاتحاد: فإما أن يقال باســتمرار وجود الجواهر المتداخلة، أو بعدمها أو باستمرار البعض وعدم البعض، فإن كان **الأول:** فالقول بالاتحاد مع استمرار الجواهر المتداخلة محال، وإن كان **الثاني:** فلا تداخل بل هو فساد، لما كان من الجواهر وكون لأمر آخر، وإن كان **الثالث:** فلا تداخل أيضًا بل هو فساد وعدم البعض مع استمرار البعض.

(١) الشامل في أصول الدين ص١٦٠، ١٦١.

(٢) الشامل في أصول الدين ص١٦٠.

وإن قيل بتعدد الجواهر: مع تداخلها ووجود بعضها بحيث البعض الآخر فلو كان البعض منها أسود والبعض أبيض: فإما أن نراهما أو نرى أحدهما دون الآخر أو لا نرى واحدًا منهما، فإن كان **الأول**: فإما أن يكون ما نراه أسود هو غير ما نراه أبيض أو ما نراه أسود غير الذي نراه أبيض، فإن كان ما نراه أسود هو غير ما نراه أبيض فهو محال ظاهر الإحالة وإن كان ما نراه أسود غير ما نراه أبيض فلا تتداخل بل كل واحد بحيث نفسه.

وإن كان **الثاني**: وهو رؤية أحدهما دون الثاني فليس أحدهما أولى من الآخر.

وإن كان **الثالث**: وهو أنَّا لا نرى واحدًا منهما فهو أيضًا محال، وذلك لأن اللون القائم بكل واحد منهما من السواد أو البياض لا ينافيه اللون القائم بالآخر ضرورة تعدد محلها ومع تعدد المحل فلا منافاة بين البياض القائم بأحدهما والسواد القائم بالآخر "(١)

وبذلك يظهر جليًّا أن امتناع التداخل بين الجواهر أمر من البديهيات والضرورات التي يُسلم بها سائر العقلاء، وهذا ما صرح به الإمام أبو الحسن الأشعري قائلاً:"وقد أنكر الناس جميعًا أن يكون جسمان في موضع واحد في حين واحد أنكر ذلك جميع المختلفين من أهل الصلاة"(٢)، وعليه فتكون نظرية الكمون ليس لها نصيب من الصحة لأن النظرية قائمة على القول بالتداخل، وهذا قد ثبت بطلانه.

ثانيًا: أن الدافع الذي حمل النظَّام على قوله بالتداخل بين الجواهر هو أنه كان يرى أن الجسم لا تناهي في أجزائه كما يقول الإمام الأشعري:"وقال النظَّام: الجسم هو الطويل العريض العميق وليس لأجزائه عدد يوقف عليه"(٣).

---

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين/ علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (٢/ ٢٥٩،٢٥٨) تحقيق: أحد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط/ ١، ٢٠٠٣م.

(٢) مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٥١).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٣٧).

فهو يرى أن الجســم لا تتوقف أجزاؤه عند عدد معين، لأنه يرى أنه "لا جزء إلا وله جزء، ولا بعض إلا وله بعض، ولا نصف إلا وله نصف، وإن الجزء جائز تجزئته أبدًا ولا غاية من باب التجزؤ"(١).

وبناءً على ذلك فإن النظَّام لما كان يقول بعدم تناهي أجزاء الجســم مع الاعتقاد بكونه متحيزًا لزمه القول بالتداخل بين الجواهر، وهذا ما صــرح به نـ صير الدين الطوســي قائلاً:" لما التزم النظَّام القول بوجود الجواهر الفردة غير المتناهية في الجســم المتناهي لزمه القول بتداخل الجواهر "(٢).

ولكن ما ذهب إليه النظَّام بأن الجســم لا نهاية لأجزائه ليس له ما يعضــده، بل هو مخالف لما هو مقرر عند جمهور المتكلمين، فإنهم يرون أن الجســم ينقســم إلى أجزاء، ولكن هذا التجزؤ في نهاية الأمر يـ صل إلى جزء لا ينقســم، لأن القول بعدم تناهي أجزاء الجســم يخالف الضرورة العقلية وذلك لعدة أمور منها الآتي:

١-لو جاز أن ينقســم الجســم إلى أجزاء لا إلى نهاية لزم من ذلك مســاواة الذرة مع الأســد، لأن مسـألة الـصِغر والعِظم يكون بالأجزاء الكثيرة والقليلة وهذا محال، يقول الإمام الجويني :"اتفق الإسلاميون على أن الأجسام تتناهى في تجزئتها حتي تصير أفرادًا، وكل جزء لا يتجزأ، فليس له طرف وحدّ وجزء شــائع لا يتميز، وإلى ذلك صــار المتعمقون في الهندســة وعبروا عن الجزء بالنقطة وقطعوا بأن النقطة لا تنقسم"(٣).

٢-مقدار الحركة والزمان من دلائل تناهي أجزاء الجسم، يقول الإمام الفخر الرازي :" والدليل

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٤٤).

(٢) محصّل أفكار المتقدمين / للإمام الفخر الرازي ــ وبذيله تلخيص المحصّل ــ لـنصير الدين الطّوسي ص١٣٣. .

(٣) الشامل في أصول الدين ص١٤٣. [يراجع: أبكار الأفكار (٢/ ٢٧١)].

عليه أن الحركة والزمان كل واحد منهما مركب من أجزاء متعاقبة كل واحد منها لا يقبل القسمة بحسب الزمان، فوجب أن يكون الجسم مركبًا من أجزاءٍ لا تتجزأ، أما الحركة: فإنه لا بد أن يحصل من الحركة في الحال بشيء وإلا لامتنع أن يصير ماضيًا ومستقبلاً، لأن الحاضر هو الذي يتوقع حضوره ولم يحصل، فلو لم يكن شيء منه حاصلاً في الحال لامتنع كونه ماضيًا ومستقبلاً، فيلزم نفي الحركة أصلاً وهو محال.

وأما بيان أن الأمر كذلك في الزمان فالآن الآن الحاضر الذي هو نهاية الماضي وبداية المستقبل لا يقبل القسمة وإلا لم يكن حاضرًا، وإذا عدم يكون عدمه دفعة أيضًا، فإن العدم متصل بأن الوجود وكذا القول في الثاني والثالث فالزمان مركب من آناتٍ متتالية كل واحد منها لا يقبل القسمة"(١).

٣-تناهي أجزاء الجسم هو من أعظم ما استدلّ به المتكلّمون على حدوث العالم الذي بدوره دليل على وجود الباري ﷻ، يقول إمام الحرمين :"من أعظم أركان الدين منع انقضاء حوادث لا نهاية لها ولا تستمر دلالة حدوث العالم دون إثبات ذلك، وفيما صرت إليه -أي النظّام- ما يفضي إليه تجويز حوادث لا نهاية لها فإنك تجويز أن يبتدئ خلق الأجسام ثم تقدير انقضاء خلقها وإن كانت لا تتناهى أجزاؤها والرب -تعالى- يخلقها ترتيبًا"(٢).

٤-إن لم يكن هناك نهاية لتجزؤ الجسم لكان امتداد جسم الخردلة غير متناهي، يقول الإمام سعد الدين التفتازاني:" أنه لو لم ينته انقسام الجسم إلى ما لا يكون له امتداد وقبول انقسام لزم أن يكون

---

(١) يراجع: معالم أصول الدين/ للإمام الفخر الرازي ص٣٥ تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ــ دار الكتاب العربي ــ لبنان. [يراجع: شرح المقاصد/ للإمام مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني (٣/ ٣١) تحقيق: عبد الرحمن عميرة عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢، ١٩٩٨م].

(٢) الشامل في أصول الدين ص١٤٨.

امتداد كل جسم حتى الخردلة غير متناهٍ القدرة لتألفه من امتدادات غير متناهية العدد"(١).

٥- ورود الآيات القرآنية التي تدل على تناهي الجواهر والأجسام منها: قوله تعالى: ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾(٢) وهذا دليل على إثبات تناهي الأجسام فالآية تدل على أن الأجسام تتناهى حتى تكون أجزاءً متناهية.

يقول الإمام الرازي :"وأما قوله: (وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) فهو يدل على كونه عالمًا بجميع الموجودات، فإن قيل: إحـ صاء العدد إنما يكون في المتناهي، وقوله: (كُلَّ شَيْءٍ) يدل على كونه غير متناهٍ، فلزم وقوع التناقض في الآية، قلنا: لا شك أن إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي فأما لفظة (كُلَّ شَيْءٍ) فإنها لا تدل على كونه غير متناهٍ،لأن الشيء عندنا هو الموجودات، والموجودات متناهية في العدد"(٣).

ومنها: قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾(٤) يقول الإمام النسفي :"بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٥)"(٦).

---

(١) شرح المقاصد (٣/ ٣٠).

(٢) الآية ٢٨ سورة الجن.

(٣) تفسير الفخر الرازي (٣٠/ ٦٨٠).

(٤) الآية ٨ سورة الرعد.

(٥) الآية ٤٩ سورة القمر.

(٦) تفسير النسفي (٣/ ٤٠٧).

الخاتمة

الحمد لله وكفي وصلاةً وسلامًا على عبادهِ الذين اصطفى، فبعد رحلتي مع هذا البحث عرضًا لعناصره ومعالجةً لمسائله وقضاياه فإنه يطيب لي أن أذكر أهم ما توصلت إليه من نتائجَ وهي كما يأتي:

١- أن جذور نظرية الكمون ونشأتها بدأت عند فلاسفة اليونان، ثم ما لبث أن انتقلت إلى البيئة الإسلامية، مع الاختلاف في مقدار التأثر والطرح.

٢- وجود نظرية الكمون في البيئة الإسلامية يؤكد مدي الحاجة لمعرفتها وبيان موقف الإسلام منها، وذلك لتناولها قضية مهمة من قضايا العقيدة، ألا وهي قضية الخلق، وما يتصل بها من مباحث.

٣- أن جابر بن حيان هو أول من طَرق نظرية الكمون في البيئة الإسلامية وتحدث عن مفهومها، ولكن بطريقة يعتريها الكثيرُ من القصور والبعد عن الكمون في ذاته، فقد بدا تأثُره بأرسطو في تناوله للكمون في ضوء مفهوم (القوة والفعل).

٤- يُعد إبراهيم النظَّام هو أبرز من تكلم عن نظرية الكمون بين مفكري الإسلام وأكثر من توسع في بيانها، فقد جعل منها قاعدة أساسية لفهم مسألة الخلق مع ربطها بعقيدته الإسلامية وبيئته التي نشأ فيها.

٥- النظَّام في تناوله لنظرية الكمون كانت له وجهة نظر مستقلة تدل على أصالته الفكرية، ونزعته الفلسفية والكلامية، فقد كان طرحه للكمون مختلفًا عمن سبقه من الفلاسفة والمفكرين، وهذا ما يجعل الكمون عند الفكر النظّامي له طابعه الخاص.

٦- رؤية الإسلام لمسألة (خلق العالم) لا تتوافق مع نظرية الكمون، فـ صريح القرآن والسنة في

كيفية الخلق مخالفٌ لما عليه نظرية الكمون، كما أن العقل لا يسلم بـ صحة هذه النظرية لما يلزم منها من مستحيلات عقلية، كالقول بجواز التداخل بين الأجسام إلى غير ذلك من المحالات.

وفي نهاية البحث أحمَدُه -سبحانه وتعالى- حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، فلست أزعم لنفسي الكمال، فالكمال لله وحده، وحسبي أن بذلت من الجهد ما أرجو به ثوابه -سبحانه- وعفوه وغفرانه، وأصلي وأسلم على النبي المجتبى والرسول المرتضي سيدنا محمد وعلى أله وصحبه تسليمًا كثيرًا .... والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع والمصادر

- القرآن الكريم جل من أنزله.

١- أبكار الأفكار في أصول الدين/ للإمام علي بن أبي علي الآمدي (ت:٦٣١) تحقيق: أحد فريد المزيدي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ـ ط/ ١، ٢٠٠٣م.

٢- الأساس القرآني لنظرية الكمون عند النظام المعتزلي/ د. محمد عبد الستار نصار ــ جامعة قطر ـ حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ مكتبة البنين ـ قسم الدوريات ــ العدد: الخامس ١٩٨٧م.

٣- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ للإمام محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ) تحقيق: علي سامي النشار ـ دار الكتب العلمية بيروت.

٤- الأعـلام/ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي ـ دار العلم للملايين ط/ ١٥، ٢٠٠٢م.

٥- الانتصار والرد على ابن الرواندي الملحد/ لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد عثمان الخياط المعتزلي (ت:٣٢١) تحقيق: د/ نيبرج ـ دار العربية للكتاب ـ القاهرة ط/ ١، ١٩٢٥م.

٦- تاريخ الرسل والملوك/ للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت:٣١٠هـ) دار التراث ــ بيروت ــ ط/ ٢، ١٣٨٧هـ.

٧- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي/ د. مصطفى النشار ــ دار قباء للنشر والتوزيع ــ القاهرة ــ ١٩٩٨م.

٨- تاريخ بغداد / للإمام أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: بشار عواد معروف ـــ دار الغرب الإسلامي ـــ بيروت ـــ ط/ ١، ٢٠٠٢م.

٩- تفسير القرآن العظيم/ للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين ـ دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون ـــ بيروت ـــ ط/ ١، ١٤١٩هـ .

١٠- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)/ للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت:٧١٠هـ) تحقيق: يوسف علي بديوي دار الكلم الطيب بيروت ـ ط/ ١، ١٩٩٨م.

١١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ للشيخ: محمد سيد طنطاوي (ت: ٢٠١٠م) دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـــ الفجالة ـــ القاهرة ـــ ط/ ١، ١٩٩٨م.

١٢- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل/ للقاضي محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ـ مؤسسة الكتب الثقافية لبنان ـ ط/ ١، ١٩٨٧م.

١٣- التوحيد/ للإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. فتح الله خليف ـــ دار الجامعات المصرية ـ الإسكندرية.

١٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)/ للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ـ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي) ط/ ١، ١٤٢٢هـ .

١٥- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)/ للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ط/ ٢، ١٩٦٤م.

١٦- الحـيـوان/ عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط/ ٢، ١٤٢٤هـ.

١٧- خلق الإنسان بين العلم والقرآن/ د. حمد الرقعي ـ دار الجماهرية للنشر والتوزيع ـ الجماهرية العربية الليبية المشتركة العظمي.

١٨- سنن أبي دواد/ للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.

١٩- سنن الترمذي/ للإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وأخرون ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط/ ٢، ١٩٧٥م.

٢٠- الشامل في أصول الدين/ للإمام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت: ٤٧٨هـ) تحقيق: علي سامي النشار ـ منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٦٩م.

٢١- شرح العقيدة الطحاوية/ محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ) دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة ـ الطبعة المصرية ط/ ١، ٢٠٠٥م.

٢٢- شرح المقاصد/ للإمام مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ) تحقيق: عبد الرحمن عميرة ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط/ ٢، ١٩٩٨م.

٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ـ دار العلم للملايين ـــ بيروت ط/ ٤، ١٩٨٧م.

٢٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ للإمام محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٢٥- العين/ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت:١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي د. إبراهيم السامرائي ــ دار ومكتبة الهلال.

٢٦- غريب القرآن المسمى (بنزهة القلوب)/ محمد بن عُزير السجستاني أبو بكر العُزيري (ت:٣٣٠هـ) تحقيق: محمد أديب عبد الواحد ــ الناشر: دار قتيبة ـ سوريا ط/ ١، ١٩٩٥م.

٢٧- فتح القدير/ للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير ــ دار الكلم الطيب ـــ دمشق، بيروت ــ ط/ ١، ١٤١٤هـ .

٢٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية/ للإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي ــ دار الآفاق الجديدة ــ بيروت – ط/ ٢، ١٩٧٧هـ .

٢٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل/ للإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) مكتبة الخانجي ــ القاهرة.

٣٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي ــ بيروت ـ ط/ ٣، ١٤٠٧هـ .

٣١- ٣١ ـ مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري/ للإمام محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني (ت: ٤٠٦ هـ) تحقيق: دانيال جيماريه ـ دار المشرق ـ بيروت لبنان ـــ ١٩٨٧م.

٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ للإمام عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ط/ ١، ١٤٢٢هــــ .

٣٣- محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين/ للإمام الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ) وبذيله تلخيص المحصّل/ لـنصير الدين الطّوسي ـ قدم له: طه عبد الرؤف سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

٣٤- المحكم والمحيط الأعظم/ لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨ه) تحقيق: عبد الحميد هنداوي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط/ ١، ٢٠٠٠م.

٣٥- مختار رسائل جابر بن حيان/ جابر بن حيان (ت: ٢٠٠هـ) عُنى بتصحيحها ونشرها: پ. كرواس ـ مكتبة الخانجي ومطبعتها ــ ١٣٥٤هـ .

٣٦- المخصص/ ابن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: خليل إبراهم جفال دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ ط/ ١، ١٩٩٦م.

٣٧- مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن/ منى رفعت داعيس عبد الرازق ـــ جامعة النجاح الوطنية ـــ نابلس ــ فلسطين ــ ٢٠٠٣م.

٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل/ للإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ـ مؤسسة الرسالة ـ ط/ ١، ٢٠٠١م.

٣٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)/ للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤٠- معالم أصول الدين/ للإمام فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ـ دار الكتاب العربي ـ لبنان.

٤١- المعتزلة/ زهدي جار الله ـ الأهلية للنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ط/ ١، ١٩٧٤م.

٤٢- مفاتيح العلوم/ محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله الكاتب البلخي الخوارزمي (ت: ٣٨٧هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب العربي ـ ط/ ٢.

٤٣- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)/ للإمام الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط/ ٣، ١٤٢٠هـ.

٤٤- المفردات في غريب القرآن/ لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي ـ الناشر: دار القلم ـ الدار الشامية ـ دمشق ـ بيروت ـ ط/ ١، ١٤١٢هـ.

٤٥- مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين/ للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:٣٢٤هـ) تحقيق: نعيم زرزور ـ المكتبة العصرية ـ ط/ ١، ٢٠٠٥م.

٤٦- الملل والنحل/ للإمام محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) مؤسسة الحلبي.

٤٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ ط/ ٢، ١٣٩٢هـ.

٤٨- المواقف في علم الكلام/ للإمام عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت: ٧٥٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن عميرة ــ دار الجيل ــ لبنان بيروت ــ ط١، ١٩٩٧م.

٤٩- الموسوعة الفلسفية العربية/ رئيس التحرير: معن زيادة ـ معهد الإنماء العربي ط/ ١، ١٩٨٦م.

٥٠- موسوعة المستشرقين/ د. عبد الرحمن بدوي ــ مؤسسة دار العلم للملاين ــ بيروت لبنان ــ ط/ ٣، ١٩٩٣م.

٥١- النَّظَّام وآراؤه الكلامية/ د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة ــ ١٩٤٦م.

٥٢- الوافي بالوفيات/ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ـ الناشر: دار إحياء التراث بيروت، ٢٠٠م .

فهرس المحتويات

المحتويات